

المبحث الخامس :

القضاء على الإرهاب

المبحث الخامس

القضاء على (الإرهاب)

يتضمن هذا المبحث الحديث عن كيفية مكافحة (الإرهاب) عند خبراء (راند)، ومدى إمكانية القضاء عليه، وأهم السبل التي يعرضونها لمكافحته، وذلك في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: كيفية مكافحة (الإرهاب) والقضاء عليه:

تؤكد دراسة (العلوم الاجتماعية لمكافحة الإرهاب) على سداجة الرأي الذي يتصور أن وضع حد للإرهاب يكون -ببساطة- من خلال العمل على الحد من العوامل التي تسببه! وتقول: من المثير للاهتمام، أن الأدلة التاريخية التي تصف كيفية القضاء على الإرهاب تستخدم تعبيرات مختلفة -إلى حد ما- من الأوصاف التي تفسر سبب نشوئه. ومع ذلك فإن جملة من العوامل مهمة بدرجات نسبية مختلفة في سياقات مختلفة^(١).

والأدلة التاريخية التي تشير إليها هي حركات وتنظيمات مسلحة خلال القرن الماضي ظهرت من أديان ونحل وتنظيمات مختلفة في أوروبا، وأمريكا الجنوبية، وشرق آسيا، وأفريقيا، والدول العربية^(٢).

وأسباب تراجع (الإرهاب) في هذه الأدلة التاريخية المشار إليها^(٣):

- ١- الجهود المباشرة للدولة في مكافحة (الإرهاب) بما فيها القمع أحياناً.
- ٢- التفكيك من خلال الإنهاك.
- ٣- فقدان القادة.
- ٤- الانتقال غير الناجح بين الأجيال.
- ٥- فقدان الدعم الشعبي أو الخارجي.
- ٦- التوصل إلى بديل جديد لـ(الإرهاب).

(١) Social Science for Counterterrorism. P. xxxiv

(٢) المرجع السابق: P. xxxv

(٣) نفسه.

عقدت دراسة (العلوم الاجتماعية لمكافحة الإرهاب) الفصل السابع فيها لبحث كيفية إنهاء الإرهاب^(١). وأشارت إلى خمسة محاور تتعلق بذلك، تناولتها جملة من الدراسات التي عُنيت بالحديث عن كيفية إنهاء الإرهاب، وتلك المحاور هي^(٢):

١- الأسباب الجذرية للإرهاب، ودوافعه. (التي تناولها المبحث الثالث من هذا الفصل من رسالة الباحث).

٢- تاريخ الجماعات الإرهابية.

٣- فاعلية سياسات مكافحة الإرهاب.

٤- تطور الجماعات الإرهابية باعتبارها جزءًا من الحركات الاجتماعية الأوسع نطاقًا.

٥- تركيبة المنظمات، والاحتياجات، والتنامي الداخلي.

ويقول تقرير (بناء شبكات من المسلمين المعتدلين): «لا تقتصر مكافحة الإرهاب على تقديم الإرهابيين إلى (العدالة) وإضعاف قوتهم، لكن هناك جهد لفهم أعمق لمصادر (الإرهاب) ومعالجتها»^(٣).

(١) نفسه: P. 257-298

(٢) نفسه: P. 257

(٣) Building Moderate Muslim Networks. P. 41

المطلب الثاني : عدم إمكانية القضاء على (الإرهاب):

تعترف بمحمل دراسات (راند) وتُسلّم بأنه لا يمكن القضاء على (الإرهاب)، وتدعو بدلاً من هزيمة (الإرهاب) إلى أن يكون الهدف هو الحد من تفشي العنف المتطرف إلى مستويات يمكن التحكم بها^(١).

ولهذا مع أسباب أخرى - في رأي الباحث - توجهت السياسة الأمريكية في السنوات الأخيرة إلى أن يتوارى الجيش الأمريكي عن الأنظار.

قال نائب وزير الدفاع الأمريكي خلال كلمة له في مؤتمر عقده (راند) عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م : «قد لا يكون بمقدورنا التخلص من كل إرهابي لكن يمكننا أن نطمح إلى إزالة كل الشبكات الإرهابية العالمية، وإنهاء رعاية الدول للإرهاب. يمكننا أن نطمح إلى رؤية تقلص وانقشاع المناهج الفكرية التي تبرر الإرهاب»^(٢).

وتقول دراسة (العلوم الاجتماعية لمكافحة الإرهاب): أصبح من الواضح أن القوات الأمريكية لا يمكنها اعتقال أو قتل ما يكفي من مقاتلي القاعدة في جميع أنحاء العالم لهزيمة الحركة. وجل ما تقوم به الولايات المتحدة من جهود مُنصب على محاولة وقف تدفق المجندين الجدد إلى تنظيم القاعدة والجماعات المرتبطة به^(٣).

ويقول (جنكينز) عام ١٤٢٧هـ: من المرجح أن تستمر حملة الجهاديين الإرهابية الحالية لعدة سنوات. ويذكر بعض العوامل التي تغذي استمراره^(٤). ويقول في موضع آخر: الحملة ضد الإرهاب ستستغرق عقوداً^(٥).

بل وقال من باب المبالغة: «إننا نحتاج إلى التوقف عن التطلع إلى الوصول إلى قمم عالية في حرب تتواصل لمئة سنة»^(٦).

(١) Social Science for Counterterrorism. P. 383

(٢) Three Years After. P. 53

(٣) Social Science for Counterterrorism. P. 372-373

(٤) Unconquerable Nation. P. 37-38

(٥) المرجع السابق: P. 118

"We need to stop looking for "high noons" in a hundred-years war".

ويقول: «إن كثيراً من عدم صبرنا ناتج من عدم قدرتنا على التنبؤ بالنهاية. ماذا تعني كلمة "الانتصار"؟ إن الحملات على الإرهابيين نادرًا ما تنتهي بالانتصار بأي معنى تقليدي لهذه الكلمة. ونادرًا ما تدمر المجموعات الإرهابية، وبدلاً من ذلك، وبينما تتغير الظروف، يصبح ذلك غير ضروري. يجب أن يكون الأمريكيون واقعيين بشدة ولمدة طويلة. ومن حيث المبدأ فإن الولايات المتحدة تعارض الإرهاب في كل أشكاله. على كل حال، فإن ذلك لا يعني أنه يجب علينا أن نحاول في الحال مهاجمة كل منظمة إرهابية يتم التعرف عليها»^(٢).

وتعترف دراسة (الحرب بوسائل أخرى) بقوة (العنف الإسلامي)، وأن الصراع معه سيطول؛ ولذا توصي الولايات المتحدة بأن تكون مستعدة نفسياً ومادياً لهذا الصراع الطويل^(٣).

وتقول: «تعزيز الشرعية والأداء لدول معينة في العالم الإسلامي قد يعرقل الحركة الجهادية لكن لن ينهيها، لأن الجهاد العالمي موجود داخل سياق حركات التمرد المحلية وخارجها»^(٤).

وتقول: «لا يمكن أن تكون الولايات المتحدة واثقة من النجاح في مكافحة تزايد التمرد الإسلامي العالمي والمحلي بقدراتها الحالية. إن الاعتماد الكبير على استخدام القوة العسكرية على نطاق واسع في العالم الإسلامي لن تؤدي إلى هزيمة شاملة لهذا التهديد... النجاح يتطلب تعاوناً فاعلاً من الشعوب المسلمة التي يعمل فيها المتمردون الجهاديون. هذا التعاون لا يمكن توليده بالاحتلال العسكري الواسع في العالم الإسلامي. يستخدم العدو الوجود العسكري الأمريكي بصفة ذريعة لكسب التأييد للمقاومة.

الولايات المتحدة معرضة لخطر الانجرار إلى دوامة من تنامي عداة المسلمين والجهاد الدائم»^(٥).

(١) نفسه: P. 15

(٢) نفسه.

(٣) War by Other Means. P. 347

(٤) المرجع السابق: P. 295

(٥) نفسه: P. lvi

وتتحدث دراسة (الحرب بوسائل أخرى) عن تقدير نمو المعارضة السنية المسلحة في العراق خلال ثلاث سنوات ابتداء من ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، حيث ارتفع عدد المقاتلين من (٥٠٠٠) إلى (٢٥٠٠٠) وكان هذا بالتوازي مع عمليات القتل والاعتقال للمقاتلين السنة^(١). وتقول -وهي تتحدث عن المقاتلين في أفغانستان والعراق ولبنان وغزة-: «حتى أفضل الجيوش في العالم لا يمكنه هزيمة هؤلاء الأعداء»^(٢).

وتقول دراسة (تقاسم أسنان التنين) في استنتاجاتها: «تشير أبحاثنا إلى أن الحرب العالمية على الإرهاب -على الأرجح- غيرت طبيعة الإرهاب، ولم تلحق الهزيمة به»^(٣).

إن القضاء على الإرهاب بمفهومه الشرعي عند المسلمين أمر ممكن، ويدل عليه واقع عدد من الدول الإسلامية التي استطاعت إيقافه والقضاء عليه، أو طرده عن أوطانها.

وعندما تسلّم مجمل دراسات (راند) بأنه لا يمكن القضاء على (الإرهاب)، فإنها تعني أمراً أوسع من الإرهاب؛ وبالتالي يصح أنه لا يمكن القضاء عليه، وأن المعركة معه مفتوحة الأمد، وأنه ليس بمقدورهم القضاء على كل (إرهابي).

(١) نفسه: P. 8

(٢) نفسه: P. 2

(٣) Sharing the Dragon's Teeth. P. 98

المطلب الثالث : سبل مكافحة الإرهاب:

إذا كان لا يمكن القضاء على الإرهاب فهناك سبل لمكافحته والتقليل من خطره، وقد عرضت بعض دراسات (راند) جملة من سبل المكافحة، أهمها ما يلي:

١- الوسائل العسكرية:

من سبل مكافحة الإرهاب التي تعرضها بعض دراسات (راند): الوسائل العسكرية، لكن بعض دراساتها تشكك في الوقت نفسه من جدواها.

توصي دراسة (الحرب بوسائل أخرى) في بعض حالات مواجهة (التمرد) في العالم الإسلامي: بالاعتماد على الاستخدام الواسع النطاق للقوة الأمريكية، فإن الولايات المتحدة هي المعنية بالأمر^(١).

وقد أدرك خبراء (راند) -بعد سنوات من الحرب العالمية على (الإرهاب)- أن استخدام القوة العسكرية الأمريكية المباشرة في العالم الإسلامي ليست حلاً؛ فالحركات الإسلامية العنيفة ازدهرت الآن في العراق وأفغانستان وباكستان وفلسطين والجزائر والصومال وأماكن أخرى^(٢).

تقول دراسة (العلوم الاجتماعية لمكافحة الإرهاب): كثيراً ما تقوم مكافحة الإرهاب بإجراءات تستهدف الإرهابيين، بالقبض على زعمائهم والعناصر الفاعلة بينهم، أو اغتيالهم. وتؤكد بعض الدراسات أن ذلك عامل رئيس في انخفاض الجماعات، ويؤدي في نهاية المطاف إلى نهاية الإرهاب. غير أن الأدلة على ذلك غير مؤكدة، فمعظم الخبراء يعتقدون أن الجماعات الشبكية -كالقاعدة- أقل عرضة للإزالة عن طريق كبار القادة^(٣).

وتقول الدراسة نفسها: "ومن الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة تدعي أنها قتلت عددًا هائلاً من قادة القاعدة رفيعي المستوى جداً، ومع ذلك ليس هناك تغيرات جذرية. وقد يأتي

(١) War by Other Means. P. 356 ، والدارسة منشورة عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٢) ينظر: المرجع السابق: P. 347-349

(٣) Social Science for Counterterrorism. P. 268, 390-391

البديل لأولئك القادة تبعاً»^(١).

وتشير إلى أن العمل المباشر ضد (الإرهابيين) ينبغي أن تقاس فيه المصلحة والمفسدة، فإذا كان العمل المباشر سيؤدي إلى تدهور الجماعة، ولا يؤدي إلى مزيد من المجندين في صفوفها، ولا يقدم الدعم الشعبي لها، فهو مفيد^(٢). لكن عندما يكون هناك عدد كبير من السكان يدعم قضية (الإرهابيين) فإن التدابير القمعية لن تكون كافية^(٣).

وتقول: «وتجدر الإشارة إلى أن الحكومة تستطيع بالقمع السلطوي القضاء على الإرهاب في البلد المعني، لكنها قد تدفع به في أماكن أخرى»^(٤).

وتُدلل على هذا دراسة (بسط مستقبل الحرب الطويلة) بالقمع المصري لـ(السلفية الجهادية) خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الميلادي المنصرم، وكيف أن هذا القمع قد أدى إلى هجرة هذا الفكر وبعض أفرادهِ إلى بلدان أخرى، وأسهم في بناء منظمة فاعلة لهم^(٥).

وتستعرض دراسة (الحرب بوسائل أخرى) - المنشورة عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م - ثلاثة خيارات عسكرية استراتيجية للولايات المتحدة في العالم الإسلامي^(٦):

١- استمرار الاعتماد على تدخل عسكري واسع النطاق والاحتلال لمواجهة (التمرد) في العالم الإسلامي.

٢- الانسحاب من مكافحة التمرد في العالم الإسلامي، والتركيز على الدفاع المناسب عن الولايات المتحدة ومصالحها الحيوية في مكان آخر. ولا يختلف هذا الانسحاب عن حالة انسحاب الولايات المتحدة من الهند الصينية بعد حرب فيتنام. وتُعقّب الدراسة بأن الوضع اليوم يختلف؛ فانسحاب الولايات المتحدة من مكافحة (التمرد) في العالم الإسلامي سيُخلف

(١) المرجع السابق: P. 269

(٢) نفسه: P. 391

(٣) نفسه: P. 264

(٤) نفسه: P. 265

(٥) Unfolding the Future of the Long War. Appendix A. P. 130-131

(٦) War by Other Means. P. Ivi-Ivii

مخاطر جسيمة لمصالحها ولأصدقائها، ولمصير منطقة الشرق الأوسط، وللأمن العالمي، وأمن الطاقة.

وإذا كان تصعيد استخدام القوة العسكرية الأمريكية في العالم الإسلامي خطيراً، فإن من الحماقة الاعتقاد بأن الانسحاب منه سينتج عنه تراخي الجهاديين ووضع حد (للعنف الإسلامي).

٣- تمكين الشركاء المحليين من بناء قدراتهم في مكافحة (التمرد) بشكل كامل ومتوازن. وتدعو الدراسة إلى اعتماد هذا الخيار.

وتقول الدراسة: «من الخطأ أن نستنتج من تجربة القوات الأمريكية في العراق أن الطريق الصحيح لمواجهة (التمرد الإسلامي) بشكل عام إرسال أكبر الجيوش لمحاربتها. هذه الدراسة... وجدت أن الاستخدام الواسع النطاق للقوات البرية الأمريكية في العالم الإسلامي لا يكون فاعلاً ضد مسلحين مبهمين، ولا تلقى الترحيب من الناس الذين يختبئ بينهم هؤلاء المسلحون»^(١).

وتبدي خوفها من أن تكون الحرب على (الإرهاب) حرباً مستديمة استنزافية، وتدعو إلى جعلها حرباً يمكن كسبها بالإدراك (المعرفة)^(٢).

٢- تدمير المؤسسة الجهادية العالمية:

يقترح (جنكينز) عام ١٤٢٧هـ بأن تستمر حملة مكافحة (الإرهاب) على تدمير المؤسسة الجهادية العالمية؛ لأنها لا تزال التهديد الرئيس المباشر للأمن الوطني الأمريكي. ويوصي بالثبات على مشروع التدمير؛ لأن الجهاديين وإن خفضت قدراتهم التشغيلية منذ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م إلا أنهم كانوا قابلين للتكيف، والمرونة، والقدرة على مواصلة العمل^(٣).

(١) المرجع السابق: P. xlvii-xlviii

(٢) نفسه: P. xli

(٣) Unconquerable Nation. P. 117

ويرى أحد خبراء (راند) عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م: أنه لن يتحقق الأمن للولايات المتحدة من الجهاد العالمي بمجرد إلقاء القبض على المجاهدين أو قتلهم؛ فلا بد للولايات المتحدة من العمل على المدى الطويل، بالتركيز على الجيل الجديد من الشباب الذين يدرسون في المدارس الإسلامية؛ للحد من نطاق الحركة الجهادية العالمية، والتغلب عليها في نهاية المطاف^(١).

٣- الحد من تجنيد الجهاديين بمعالجة القضايا التي تسهم في تجنيدهم:

يقول (جنكينز): «الحد من تجنيد الجهاديين أمر ضروري للحد من التهديد الإرهابي»^(٢). ويدعو إلى معالجة بعض القضايا التي تسهم في تجنيد الجهاديين، ويستغلها الجهاديون للتجنيد، مثل: القضية الفلسطينية، والصراع في كشمير، والفلبين^(٣). وكذلك يدعو (آرون) إلى معالجة القضية الفلسطينية، وأنها سوف تخفف من الهجمات الجهادية، ولكنها لن تضع للهجمات نهاية^(٤).

٤- فصل الدعم الشعبي:

تنقل دراسة (العلوم الاجتماعية لمكافحة الإرهاب) اتفاقاً بين الدراسات على أهمية ما تتلقاه المنظمات (الإرهابية) من دعم شعبي، وأن خسارة هذا الدعم يمثل أهمية كبيرة في تراجعها^(٥). ويدعو (هوفمان) خبير (الإرهاب) لدى (راند) إلى فصل هذا الدعم عن الجماعات الإسلامية المسلحة^(٦).

(١) Combating Terrorism: The 9/11 Commission Recommendations. P. 14-15

(٢) Unconquerable Nation. P. 125

(٣) المرجع السابق.

(٤) In Their Own Words: Voices of Jihad. P. 301

(٥) Social Science for Counterterrorism. P. 380, 385

(٦) Combating al Qaeda and the militant Islamic threat . P. 16 ينظر:

السعي لانخفاض الدعم الشعبي لا يقتصر على الإرهاب بالمفهوم الذي يعرفه علماء المسلمين، بل هناك سعي لقتل مبدأ المقاومة للمحتل، وخفض الدعم للجهاد الشرعي الصحيح^(١).

وتتنوع وسائل خفض الدعم الشعبي، ومن ذلك: ضرب المؤسسات الخيرية، وتشويه صورة بعض الجماعات المسلحة بأنواع من التشويه، والتركيز الإعلامي والثقافي على نبذ العنف، من غير تفصيل يميز بين الإرهاب والجهاد.

تقول دراسة (العلوم الاجتماعية لمكافحة الإرهاب): «الاستراتيجية الأكثر وضوحاً للحد من شرعية الإرهاب أو التمرد: هي اتهامه بأنه عمل غير أخلاقي. يتطلب هذا الجهد في الكثير من البلدان أولاً، وقبل كل شيء: تقليل التحريض الديني على العنف في الإعلام وفي الخطاب السياسي وفي المواد التعليمية، أو إزالته»^(٢).

لا يعترض المسلمون على هذا الكلام إذا كان المقصود به الإرهاب حقيقة، بل هم مبادرون في تحقيقه واقعاً قبل أحداث ١١/سبتمبر وبعدها، في خطاب العلماء، وفي الإعلام، وفي المقررات التعليمية، لكنهم لا يوافقون عليه عندما يكون المقصود به الجهاد في سبيل الله تعالى.

فإذا كان المقصود به الجهاد في سبيل الله، أو بمعنى أوسع: الإسلام نفسه، فإن الولايات المتحدة وحلفاءها سوف يستهدفون أغلب المسلمين، كما قالت دراسة (الحرب بوسائل أخرى): «مما يزيد من صعوبة العمليات القتالية واسعة النطاق ضد المتطرفين الإسلاميين قدرة المتمردين على الاختلاط بالسكان؛ مما يجعل من كل رجل مسلم مشتبهاً فيه، وبالتالي ضحية محتملة، أو معتقلاً من قبل مكافحة التمرد»^(٣)؛ وهكذا يصبح كل مسلم متهمًا حتى تثبت براءته، وليس العكس.

(١) من أمثله: إعادة طبع تجارب قديمة في هذا المجال، ينظر: Pacification in Algeria, 1956-1958. P. 246.

(٢) Social Science for Counterterrorism. P. 349-350

(٣) War by Other Means. P. xxxvii

٥- منع تكوُّن البيئات الخصبة للإرهاب:

يوصي مستشار (راند) (جنكينز) -قبل الثورات العربية بأعوام-: بأنه «ينبغي على القوة العسكرية الأمريكية أن تواصل جهودها لمنع إيجاد البيئات التي يمكن أن توفر أرضية خصبة لمستقبل الإرهاب، كما هو الحال في البوسنة وكوسوفو. والمساعدة في حل النزاعات التي تؤدي إلى الإرهاب، مثل تلك الموجودة في إيرلندا الشمالية والشرق الأوسط»^(١).

٦- إخفاء صورة الجيش الأمريكي في البلدان الإسلامية:

أشارت دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) إلى أن الإسلاميين وبخاصة في الشرق الأوسط جعلوا من الوجود الأمريكي العسكري ذريعة لأعمال العنف. وترى أن انخفاض صورة الجيش الأمريكي في المناطق المأهولة بالسكان سوف يحد من رؤية الولايات المتحدة بأنها (سلطة احتلال)؛ وبالتالي قد يقلل من الأهداف المحددة لهذا العنف، وتوصي في الشأن العراقي بأن يقوم الجيش بتدريب قوات محلية تكون في الصورة بدلاً من الجيش الأمريكي^(٢).

يختلف إخفاء صورة الجيش الأمريكي عن انسحابه ورحيله. ولا يدعو خبراء (راند) القوات الغربية إلى الانسحاب والرحيل من البلدان الإسلامية المحتلة، بل يريدون منها ألا تكون في الواجهة أمام مرأى المواطنين.

٧- نشر الديمقراطية:

جاء في الاستراتيجية الأمريكية للأمن الوطني المعلنة عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: «سوف تشجع أمريكا التقدم الديمقراطي والانفتاح الاقتصادي... لأن هذه تعد أسساً للاستقرار المحلي والنظام الدولي»^(٣).

(١) Remarks Before the National Commission on Terrorist Attacks Upon the United States. P. 5.

(٢) The Muslim World after 9/11. P. xxvi, 146

(٣) Building Moderate Muslim Networks. P. 41

ويذهب (جنكينز) إلى أن تشجيع الديمقراطية سيسهم في الحد من الإرهاب^(١).
وتقول دراسة (حركة كفاية) عن جهود الولايات المتحدة في تعزيز الديمقراطية في العالم العربي، وبخاصة بعد هجمات ١١/سبتمبر: «هذا الاهتمام كان جزءاً من محاولة للحد من العنف والإرهاب المزعزع للاستقرار السياسي»^(٢).
وتدعو دراسة (تأسيس القانون والنظام بعد الصراع) إلى إدماج الجماعات المسلحة في العملية السياسية الديمقراطية، وتعدّه أمراً حاسماً لضمان سلام دائم، وتشير في هذا الصدد إلى العراق وأفغانستان^(٣).
ومن الطرق التي أوردتها دراسة (العلوم الاجتماعية لمكافحة الإرهاب): أن حصول المنظمة (الإرهابية) على الاعتراف بها، وانتقالها إلى الانخراط في العملية السياسية المشروعة يجعلها تتخلى عن الإرهاب، وتُمثل الدراسة على نجاح ذلك بمنظمة التحرير الفلسطينية^(٤). وتنقل بعض المقترحات في هذا الشأن: من أنه ينبغي على الحكومة أن تكون مستعدة لتوفير مسارات للخروج من العنف، من خلال عرض العفو، وقبول المنظمة باعتبارها شريكاً تفاوضياً، للوصول إلى حلول وسط تكون مرضية للطرفين^(٥).
وتدعو إلى «توخي الحذر عند النظر في تقديم التنازلات المحتملة، إذ إن كل تنازل سيدرجه (الإرهابيون) لاحقاً في توقعاتهم العقلانية؛ مما يتيح لهم المزيد من الدعم لفعالية تكتيكاتهم»^(٦).

(١) Unconquerable Nation. P. 125

(٢) The Kefaya Movement. P. vii

(٣) Establishing Law and Order After Conflict. P. 221

(٤) نشأت عام ١٣٨٤هـ، لمقاومة الاحتلال اليهودي لفلسطين، وافتتحت مكاتب لها في عواصم الدول العربية وغيرها، وصارت تمثل الشعب الفلسطيني. موسوعة السياسة ٦/٣٤٤-٣٤٧.

(٥) Social Science for Counterterrorism. P. 262

(٦) وهذا مأخوذ من تجربة الاحتلال اليهودي في فلسطين.

Social Science for Counterterrorism. P. 193 ؛ نقلاً عن:

Benmelech, Efraim, and Claude Berrebi, "Counter-Suicide-Terrorism: Evidence from House Demolitions," Cambridge, Mass.: Harvard University, unpublished, 2008.

ويعترض خبير (راند) (جيمس دوينز) على كون الديمقراطية تكافح الإرهاب، يقول: «التحول الديمقراطي لم يكن أبداً علاجاً للإرهاب، وليس طريقاً مختصراً لشرق أوسط أكثر ميلاً للولايات المتحدة أو لإسرائيل. فالديمقراطيات الراسخة قد لا تشن حروباً على بعضها البعض، لكن الدراسات قد أثبتت أن تحويل الأمم إلى ديمقراطيات يجعلها أكثر عرضة للنزاعات الداخلية والخارجية»^(١).

والخلاف بين خبراء (راند) قائم على جدوى الديمقراطية في مكافحة الإرهاب، وهو قائم أيضاً بين الباحثين الغربيين بعامة^(٢).

أما أرض الواقع فليس فيها خلاف، لقد مضى على الجهود الأمريكية لتحويل أفغانستان والعراق إلى دولتين ديمقراطيتين أكثر من عشر سنوات، فلم يقف الإرهاب أو الجهاد بل زاد، وصار سوء الحال فيهما أشد من قبل.

٨- دعم النمو الاقتصادي للبلاد:

يوصي (أنجل راباسا) في شأن شرق أفريقيا بـ «الشروع في إزالة الحواجز التي تحول دون النمو الاقتصادي»^(٣). ويقول: «هناك اتفاق عام في المجتمع السياسي على الحاجة إلى تعزيز الفرص الاقتصادية، وبخاصة لفئة الشباب؛ من أجل تقليل عدد المتطوعين الجهاديين المحتملين»^(٤). ويذهب نحوه (جنكينز)^(٥).

وهي توصية ظاهرة الضعف؛ فقد أثبت عدد من الدراسات، ومنها دراسات قامت بها (راند): أنه ليست ثمة علاقة بين الفقر وانخراط الشباب في الجماعات الجهادية أو الإرهابية^(٦).

(١) Does America Need A New Grand Strategy? P. 4

(٢) Social Science for Counterterrorism. P. 22 ؛ More Freedom, Less Terror? P. xiii

(٣) Radical Islam in East Africa. P. 77

(٤) المرجع السابق.

(٥) Unconquerable Nation. P. 125

(٦) ينظر: ؛ Unconquerable Nation. P. 125 ؛ More Freedom, Less Terror? P. 3, n 9 ؛ Social Science for Counterterrorism. P. xxiii, 28 , 160.

٩- الإغراء المادي والوظيفي:

هناك بعض الوسائل تُوجَّه للقضاء على مقاومة الأمة للغازي المستعمر، وليست للقضاء على (الإرهاب)، وذلك عن طريق الإغراء بالأمن البشري، والمالي، والوظيفي. فمن ذلك: ما أشار إليه (جنكينز) مستشار (راند) من نجاح برنامج طُبِّق خلال حرب فيتنام، وأثمر بإقناع نحو مئة ألف من جنود المقاومة بالفرار إلى القسم الجنوبي من فيتنام، مقابل منحهم العفو، ومبالغ نقدية، وتدريبهم لاستلام وظائف في الجنوب^(١).

١٠- فهم العدو:

يشير (هوفمان) سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م إلى أنه على الرغم مما عانتها الولايات المتحدة خلال حرب فيتنام من إحباطات فإن الافتقار إلى فهم العدو لم يكن من بينها، ويذكر أن الولايات المتحدة لا تزال في حربها العالمية على الإرهاب لا تعرف عدوها، وأن حربها هذه زادت على المدة التي أمضتها الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية. ويقول: لا تزال الولايات المتحدة حتى اليوم لا تملك برنامجاً لفهم العدو، على الرغم من الجهود الهائلة، والثروة المكثفة^(٢).

ويرى الباحث أن الإدارة الأمريكية لم ترغب حتى الآن في الفهم، أو أنها تفهم ولكن لا تريد التعامل مع المسلمين بما تفهم؛ يدل على ذلك أنها اعتمدت الحرب الباردة ضد العالم الإسلامي وفعلتها، بدلاً من أن تسعى إلى فهمه.

يقول (جنكينز) مستشار (راند): «تعدُّ معرفة الخصم من أسس تطوير التحركات الدقيقة في المواجهات الأمنية»^(٣).

ويقول: إذا كان من السهل تقييم التهديدات خلال الحرب الباردة بسبب أن النوايا السوفيتية كانت واضحة؛ فإنه من الصعوبة بمكان سبر غور الإرهابيين، فهؤلاء أعداء يصعب

(١) Unconquerable Nation. P. 128

(٢) Combating Al Qaeda and the Militant Islamic Threat. P. 1-2

(٣) Three Years After. P. 3

الحصول على معلومات استخبارية عن تحركاتهم، كما أنه يصعب التنبؤ بأفعالهم، وكذا تحديد أهدافهم؛ ونتج عن هذا الغموض أن المحللين صاروا يستندون في تقييماتهم للتهديد على مستندات ضعيفة^(١).

لا يمكن بحال أن تتمكن الولايات المتحدة ومن يساندها من القضاء على (الإرهاب) بمفهومه الأمريكي الذي خلط الأوراق وجميع المصطلح حتى اختلط بغيره مما هو مشروع وقد يكون واجباً؛ لأن القضاء عليه يعني القضاء على قدرة الأمة الإسلامية في الدفاع عن نفسها، والذب عن دينها. فالدفاع عن الدين والأوطان أمر فطري، جُبلت عليه الأمم، وهو في هذه الأمة أجل وأعظم.

١١- المناصحة:

تذكر دراسة (العلوم الاجتماعية لمكافحة الإرهاب) المنشورة عام ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، برامج المناصحة التي ترعاها الدولة في كل من المملكة العربية السعودية، ومصر، واليمن، والأردن، والجزائر، وطاجيكستان، وماليزيا، وإندونيسيا، وسنغافورة، والمملكة المتحدة مؤخرًا. وتشير إلى بعض ما تتضمنه هذه البرامج المكثفة، من مناقشات دينية تدعو إلى التوبة، وترك العنف ضد الدولة، وترك الغلو، والتزام الوسطية؛ وتقديم استشارات نفسية؛ وخدمات اجتماعية للمعتقل ولعائلته؛ وتقديم الدعم التعليمي، والصحي، والمالي، والوظيفي، والسكني^(٢). وتشير إلى أن إصدارات العلوم الاجتماعية لم تعالج الفائدة المحتملة لمثل هذه البرامج، أو بيان كيفية استخدامها بشكل أفضل^(٣).

وتشير الدراسة إلى أن تقارير الدول تفيد بنجاح هذه البرامج. لكن الدراسة تعتذر عن تأكيد مدى درجة النجاح أو أسبابه؛ لقلة البيانات المتاحة لها^(٤).

(١) Unconquerable Nation. P. 151

(٢) Social Science for Counterterrorism. P. 306-307

(٣) المرجع السابق: P. 393

(٤) نفسه: P. 308

واستشهد (جنكينز) أيضاً ببرنامج المناصحة في المملكة العربية السعودية وسنغافورة. وشكك أيضاً في مدى نجاحه^(١).

ويشير (جنكينز) إلى نجاح المناصحة في اليمن، بما أدى إلى إطلاق عدد من السجناء واندماجهم في المجتمع. ويقول: إن الأمريكيين لم يفعلوا مثل ذلك، على الرغم من اعتقالهم المئات، فلم يقوموا إلا بالحبس والاستجواب، وهو أمر لا ينتج عنه سوى المقاومة والتطرف^(٢). المناصحة من أقوى الوسائل في مكافحة الإرهاب بمعناه الشرعي، ومع ذلك فهي ليست واردة في دراسات (راند) ابتداءً، ولكنهم يعرضون تجارب الدول الإسلامية فيها، من غير التأكيد على حكومة الولايات المتحدة باعتمادها في جهود مكافحة الإرهاب.

أنشأت المملكة العربية السعودية مركز محمد بن نايف للمناصحة والرعاية بتاريخ ١٢/١٠/١٤٢٧هـ، بهدف تحقيق الأمن الفكري؛ والوصول إلى مجتمع يطبق الوسطية والاعتدال فكرياً وسلوكياً، والإسهام في جهود الوقاية من الأفكار المنحرفة وإصلاح الفئات التي قد وقعت في برائتها من خلال برامج علمية وعملية متخصصة. ويقدم المركز برنامج المناصحة، وبرنامج الرعاية والتأهيل، وبرنامج الرعاية اللاحقة، وبرنامج الرعاية القبليّة^(٣).

وقد ثبتت جدوى المناصحة في مكافحة الإرهاب بما لا يدع مجالاً للشك، يقول أ.د. إبراهيم بن محمد الميمن، رئيس اللجنة العلمية لملتقى (تقويم جهود المناصحة وتطوير أعمالها)، المنعقد في الرياض بتاريخ ٢٨/٢/١٤٣٥هـ: إن أثر «المناصحة أمر قد أشاد به القريب والبعيد والقاصي والداني، بل أشادت به منظومة الدول الكبرى، وأصبحت تجربة عالمية تُصدّر، بل أصبحت الدول الكبرى تأتي للملكة في وفود متتالية لأجل أن تفيد من تجربة المملكة العربية السعودية»^(٤).

ويقول: «تجربة المناصحة كانت سبباً في إعادة كثير من المغرر بهم -من الشباب خاصة- إلى جادة الصواب والمواطنة الصالحة، وإلى المشاركة

(١) Unconquerable Nation. P. 131-132

(٢) RAND Review, Vol. 30, No. 2, Summer 2006, P. 13

(٣) موقع المركز: <http://www.mncc.org.sa>

(٤) صحيفة الجزيرة، ع ١٥٠٦٧، ٢٦/٢/١٤٣٥هـ، ص ٣.

الفاعلة في بناء الوطن، وتصحيح ما لديهم من أفكار... فالمناصحة أسلوب شرعي حواري يعتمد التأصيل والعمق في الطرح لمواجهة هذا الفكر. ونجحت نجاحاً باهراً. ولا يؤثر على ذلك رجوع بعض الأفراد، ووجود بعض الإشكالات؛ لأن أي عمل لا بد له من معوقات، وهذه المعوقات لا تعد في مقاييس الدراسات العلمية مؤثرة في النجاح»^(١).

١٢- توفير سبل اندماج الجاليات المسلمة في الغرب:

يدعو (جنكينز) عام ١٤٢٧ هـ إلى القضاء على بعض العوامل التي تغذي (الإرهاب)، ومنها: العمل على إزالة التوترات الناشئة عن تنامي الجاليات المسلمة في أوروبا، وما تعانيه من صعوبة الاندماج^(٢). وتوصي دراسة (العلوم الاجتماعية لمكافحة الإرهاب) بالعمل على دمج الجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية؛ للحد من الاغتراب في وسط هذه المجتمعات المفضي إلى التطرف والإرهاب. وتمكينهم كذلك من المشاركة في الحكومة^(٣).

يُظهر هذا المبحث ما يعيشه الخبراء المخططون للسياسة العسكرية والسياسية الأمريكية من خبراء (راند) من إحباط، وشعور بالهزيمة النفسية، وعدم الثقة بأي وسيلة لمكافحة ما يطلقون عليه (الإرهاب).

لا شك أن مواجهة الإرهاب الحقيقي فريضة شرعية قبل أي شيء آخر، وكل فريضة مقدرة بمقدار ينبغي ألا تزيد عليه. وما قامت به أجهزة الدولة المختلفة من جهود أمر محمود، وقد آتى ثمراته.

لكن الباحث يرى أننا أفرطنا في الجهود التي بذلناها في مواجهة الإرهاب منذ أحداث ١١/سبتمبر حتى الآن، حيث أعطينا الإرهاب أكثر من حجمه، واستنزفت في سبيل مواجهته الأموال، وخصّصت كثير من الأوقات، وشُغل الباحثون والعلماء؛ وكان هذا الإفراط سبباً في إخلالنا وتقصيرنا بأمر أهم من المواجهة الزائدة للإرهاب؛ فاختل توازن التنمية البشرية عندنا.

(١) المرجع السابق.

(٢) Unconquerable Nation. P. 38

(٣) Social Science for Counterterrorism. P. 98

وذلك يدعو إلى أن نعود إلى إعادة تقدير ما يحتاجه الإرهاب من مواجهة، فنضعه في حجمه الطبيعي، ثم نوجه جهود الأمة إلى العناية بالقضايا التنموية المختلفة، في ميزان من التوازن، وبخاصة في الجانب العبادي والفكري والأخلاقي للنشء والشباب.